التنمر المدرسي بين المفهوم والآثار

الدكتور سعيد بلفقيه
دكتوراه كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس
المغرب

ملخص:

أضحت ظاهرة التنمر واحدة من أخطر الظواهر السلبية في السنوات الأخيرة، مما أثّر بشكل كبير على أهداف النظام التربوي في جميع المجتمعات والدول، سواء كانت هذه المجتمعات نامية أو متقدمة. ويُلاحظ تفشي هذه الظاهرة بشكل أبرز في البيئة المدرسية، حيث أصبحت بيئة خصبة لنمو سلوكيات التنمر بدلاً من أن تكون مكاناً لتعديل السلوكيات السلبية. لذا، استهدف هذا البحث استكشاف العوامل المؤدية لانتشار هذه الظاهرة، وتسليط الضوء على الآثار السلبية التي تنجم عنها على طرفيها معا، الضحية والمتنمر. وخلصت الدراسة إلى اقتراح بعض التوصيات للحد من هذه المشكلة بين المتمدرسين.

ولقد كشفت الدراسة التحليلية عن نتائج مهمة، بما في ذلك ضرورة تقديم النصائح والتوعية حول هذه الظاهرة، مع توضيح الآثار الضارة التي يمكن أن تترتب على الضحية والمتنمر. كما ينبغي للمعلم أن يبحث عن جذور سلوك التنمر ليكون قادراً على التعامل مع المتنمر وبناء علاقات صحية مع الطلبة، مما يساعدهم على الشعور بالأمان والراحة في التحدث عن مشاكلهم. وتشير الدراسة إلى أن أسلوب التشجيع يلعب دورًا هامًا في حل هذه المشكلة، حيث إن تشجيع المعلم للمتنمر يمكن أن يكون من الآليات الكفيلة بالزيادة من الرغبة في تعديل السلوك. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر استخدام المعلم/الأستاذ لأساليب حل المشكلات باستخدام الذكاءات المتعددة أمرًا مهمًا، حيث يمكنه استخدام الذكاء اللغوي أو الاجتماعي أو المنطقي أو الشخصي أو الطبيعي وغيرها، حسب الحاجة وتجربته مع الطلبة.

الكلمات المفتاح: التنمر، السلوك السلبي – السلوك الإيجابي – المعلم – البيئة المدرسية.

Abstract

Bullying has emerged as one of the most detrimental negative phenomena in recent years, significantly impacting the goals of the educational system in all societies and countries, whether they are developing or advanced. The widespread prevalence of this phenomenon is clearly observed in the school environment, which has become a fertile ground for the growth of bullying behaviors instead of being a place for correcting negative behaviors. This research aims to explore the underlying reasons for the spread of this phenomenon and shed light on the negative effects it has on both the victim and the bully. The study also seeks to propose some recommendations to mitigate this problem among students.

The analytical study has yielded several important results, including the necessity of providing advice and awareness about this phenomenon, elucidating the harmful effects that may result on the victim and the bully. Additionally, teachers should investigate the roots of bullying behavior to effectively deal with the bully and build healthy relationships with students, helping them feel safe and comfortable in discussing their problems. The study indicates that encouragement plays a significant role in solving this problem, as encouraging the bully can increase their willingness to change their behavior. Furthermore, the use of multiple intelligence-based problem-solving methods by teachers is essential, utilizing linguistic, social, logical, personal, or natural intelligences as needed and based on their experience with students.

Keywords: Bullying, Negative Behavior, Positive Behavior, Teacher, School Environment.

1- المقدمة:

إن التقدم السريع الذي شمل الجانب الإنساني والعلمي جعل العالم يبدو في البداية كقرية صغيرة. وعلى الرغم من أننا لا ننكر الجانب الإيجابي الكبير لهذا التقدم، إلا أننا أيضًا لا نتجاهل المشكلات التي نشأت معه. فبالرغم من تطور التعليم والثقافة العلمية للإنسان المتعلم عما كان عليه في السنوات التي كانت تسودها الأمية، إلا أننا نشهد ظهور مشاكل جديدة ومعقدة، من بينها ظاهرة التنمر.

ويعتبر تفاقم ظاهرة التنمر في البيئة المدرسية من بين الأمور التي أثرت على أهداف وأسس النظام التربوي بشكل كبير. لذا، وجب أخذ هذه الظاهرة بعين الاعتبار بسبب الخطورة الكبيرة التي تمثلها على الطلاب والمجتمع بشكل عام. وقد تصدرت دراسات ظاهرة التنمر، بمفاهيمها وأسبابها وأشكالها وآثارها والحلول الممكنة، معظم الأبحاث والدراسات العلمية، ولا سيما البحوث في علم النفس. وإذا كان ذلك يدل على شيء، فإنما يدل على الأهمية الكبرى التي أفرزتها تطورات هذه الظاهرة.

2- أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى اعتماد الأهداف الرئيسية التالية:

- توضيح مفهوم التنمر.
- التعرف على أنماط التنمر المتنوعة في السياق المدرسي.
- إبراز أسباب حدوث التنمر في البيئة المدرسية، مع استعراض وجهات النظر التربوية حول أسبابه.
- الكشف عن الآثار الاجتماعية والنفسية والأكاديمية لفعل التنمر على كل من المتنمر والضحية على حد السواء.
- طرح توصيات عملية معتمدة للحد من انتشار ظاهرة التنمر في البيئة المدرسية.

3- أهمية البحث:

تتبدى أهمية الورقة البحثية الحالية من خلالها ما تؤطره من النقط والتي نورد أهمها:

■ الأهمية نظرية:

يعد التنمر ظاهرة مستفحلة تشكل تهديدًا للمجتمع المدرسي، مما يؤثر على نتائج التعليم المتنوعة، فهي تشكل مثار استفزاز فكري للباحثين في مجال التربية والنفس والتعليم لمزيد من التمحيص، وبالتالي فالباحث يتوخى أن تشكل هذه الدراسة إضافة علمية للأبحاث ذات الارتباط بالظاهرة موضوع الدراسة، مما يساهم في إغنائها، وإثراء المعرفة القيمة للباحثين والمهتمين.

■ الأهمية العملية:

تشكل الدراسة بوصلة جوهرية من حيث تمكين المعلمين والمختصين في المجال التربوي عبر:

- توفير تصور شامل:

تُمكن الدراسة المعلمين من فهم وتحليل أنواع التنمر المنتشرة في البيئة المدرسية، مما يُسهل عليهم وضع استراتيجيات تدخلية فعّالة لمعالجة المشكلة وحلها.

- دعم تطوير المناهج:

يمكن للمختصين في التعليم استخدام نتائج الدراسة لبناء أنشطة جماعية مبتكرة تهدف إلى الحد من انتشار التنمر في البيئة المدرسية، مما يسهم في تطوير المسارات التربوية.

- تعزيز دور الاختصاصي الاجتماعي:

يمكن للتوصيات المستخلصة من الدراسة تعزيز دور الاختصاصي الاجتماعي في مواجهة ظاهرة التنمر بين الطلاب، مما يعزز التدخل الفعّال والمستدام للتعامل مع هذه المشكلة.

4- منهجية البحث:

تم تبني "المنهج الوصفي التحليلي" في استعراض الدراسات السابقة والأدبيات التربوية في فترة تمتد من عام 2020 إلى عام 2022. كما تم التركيز خصوصاً على الدراسات الحديثة من عام 2020 فصاعدًا، نظراً لتطور ظاهرة التنمر وتعقيداتها المتزايدة عبر السنوات. من خلال هذا المنهج، تمكن الباحثون من تحديد أنماط جديدة من التنمر التي لم تكن متداولة في الفترة السابقة، مما يسلط الضوء على التطور المستمر لهذه المشكلة وضرورة مواكبتها ببحوث محدثة.

5- إشكالية البحث:

في الفترة الأخيرة، تفاقمت ظاهرة التنمر بشكل ملحوظ على المستوى المحلي والإقليمي وحتى الدولي. وقد أظهرت الدراسات العديدة تزايد حالات التنمر بين الطلاب في المدارس، مما يستدعي التحقيق السريع في أسباب هذا التزايد وتسليط الضوء على الآثار النفسية والاجتماعية والأكاديمية لكل من المتنمر والضحية. وتتناول هذه الدراسة بوضوح المفهوم والآثار لمشكلة التنمر في بيئة المدرسة، سواء كان ذلك على صعيد المتنمر نفسه أو الضحية، بهدف فهم تلك الظاهرة بشكل شامل وتحديد الإجراءات اللازمة لمكافحتها.

6- مصطلحات أساسية:

في سعي إلى الإحاطة التأصيلية بهذه الظاهرة، كان لابد من اعتماد مجموعة من المفاهيم التي تؤطر الظاهرة، وتقربنا من عوامل ظهور وقوة هذا السلوك غير المرغوب، بالإضافة إلى كل ما يرتبط بأوجه مقاومتها. ومن تلك المفاهيم نجد:

- التنمر: وفقًا لأنوار نصر المحجان،[1] فالتنمر يُعرف على أنه سلوك مقصود يهدف إلى إلحاق الأذى الجسمي أو النفسي أو اللفظي بشخص آخر، وينطلق هذا السلوك عادةً من قوة مسيطرة تجاه فرد ضعيف، الذي لا يمتلك القدرة على الدفاع عن نفسه أو التصدي بالمثل. كما أن الراشدين عادة ما يتجاهلون ظاهرة الاستقواء، وهذا يعتبر جوهر استمرار هذه الظاهرة واستمرار تأثيرها على الضحية.
- البيئة المدرسية: في السياق المدرسي، تُعتبر البيئة المدرسية موطنًا لمختلف أشكال التنمر والاعتداءات، سواء داخل الأقسام أو خارجها المنتمية دائما إلى أروقة المدرسة.
- السلوك السلبي: ويقصد به مجموعة من الإجراءات والمعاملات التي تؤدي إلى تأثير سلبي على الفرد نفسه أو على الآخرين من حوله. وبحسب أحمد حيمود "يمكن أن يكون السلوك السلبي عبارة عن أعمال عدائية أو عدم احترام للآخرين، وقد يشمل التنمر والتجاهل والتهديد والتدخل في حقوق الآخرين. هذا النوع من السلوك قد يؤثر على العلاقات الشخصية، والأداء الأكاديمي، والصحة النفسية والعاطفية للأفراد".[2]

- السلوك الإيجابي: السلوك الإيجابي بحسب سليمة سايحي هو أي نوع من السلوكيات التي تسهم في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية والعاطفية، سواء للفرد نفسه أو للآخرين من حوله. يمكن أن يشمل السلوك الإيجابي التعاون، والاحترام، والتفاعل الاجتماعي الصحي، والتعبير عن المشاعر بشكل صحيح، والعمل بروح الفريق، وتقديم المساعدة والدعم للآخرين، والمشاركة في الأنشطة الإيجابية. ويعتبر السلوك الإيجابي جزءًا أساسيًا من بناء علاقات صحية وناجحة مع الآخرين وتحقيق الرضا الشخصي والاجتماعي.[3]

7- فكرة عن بعض الدراسات السابقة:

- الدراسة الأولى ل "أنوار ناصر المحجان":

سعت الدراسة التي قامت بها الأستاذة أنوار ناصر المحجان في عام 2020 بدولة الكويت، والتي حملت عنوان "أسباب التنمر المدرسي من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين في مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت"، إلى فهم عمق ظاهرة التنمر المدرسي وتأثيرها السلبي على حياة الطلاب وسلوكياتهم وأدائهم الدراسي. وتهدف الدراسة أيضًا إلى تحديد أسباب انتشار هذه الظاهرة وفهم العوامل التي تؤثر على الطلبة، وتدفعهم لممارسة هذه التصرفات السلبية، بالإضافة إلى اقتراح الحلول المناسبة التي يمكن للأطر التعليمية اتخاذها درءا لهذه الظاهرة. كما تناولت الدراسة دور الأسرة والمجتمع في التصدي لهذه الظاهرة، مع التركيز على مختلف النظريات التي تم تطويرها لحل مشكلة التنمر المدرسي. وقد أظهرت الدراسة أيضًا الارتباط الوثيق بين النظريات السلوكية وتَشَكُّل السلوك، مما يسلط الضوء على أهمية تداخل العوامل الاجتماعية والنفسية في هذا السياق.

- الدراسة الثانية ل "عبد الوهاب صفار":

اهتمت الدراسة التي أجراها عبد الوهاب صفار في عام 2015 [4] بتوضيح مفهوم التنمر الرقمي وتأثيره النفسي على معلمات التعليم الأولي، وكيفية تأثيره على دورهن التربوي والمهني. وقد استعرضت الدراسة عدة محاور رئيسية منها "التنمر الرقمي، العنف الرقمي، والتحرش وغيرها"، ومن خلال تحليل هذه المحاور، توصلت الدراسة إلى استنتاجات هامة، وأهمها أن المرأة، بما في ذلك المعلمات في مدارس التعليم الأولي، أكثر عرضة لحالات التنمر الرقمي من غيرها، وأن المعلمات يتعرضن بشكل كبير لأنواع مختلفة من التنمر في بيئة العمل المدرسية. كما قدمت الدراسة اقتراحات لمعالجة هذه الظاهرة، منها ضرورة حماية المعلمات أنفسهن من التنمر الإلكتروني للحفاظ على دورهن التربوي والمهني. إننا بهذا المعنى أمام دراسة رائدة تتوخى تسليط الضوء على أهمية فهم ومواجهة التحديات التي تواجهها المعلمات في مواجهة التنمر الرقمي، بغية اتخاذ إجراءات فعّالة لحمايتهن ودعمهن في بيئة العمل قصد تجويد آدائهن وتمكينهن من الإحساس بالانتماء إلى مجال العمل.

- الدراسة الثالثة ل " نجلاء الحبشي":

أجرت دراسة بعنوان "التنمر الإلكتروني وعلاقته بالذكاء الوجداني لدى طالبات جامعة الباحة" من قبل الحبشي في عام 2021، وكان الهدف الرئيسي من هذه الدراسة (الحبشي،2022) هو فهم العلاقة بين التنمر الإلكتروني ومستوى الذكاء الوجداني لدى الطالبات المعنيات. وقد تم اختيار عينة الدراسة بشكل عشوائي وشملت 238 طالبة، واستخدم المقياس المطور من قبل الحبشي والغامدي في عام 2019، ويتضمن أربعة أبعاد رئيسية للتحليل: "التخفي الإلكتروني، المضايقات الإلكترونية، التعقب الإلكتروني، والتحرش الجنسي الإلكتروني". ولقد أظهرت نتائج الدراسة أن نسبة انتشار ظاهرة التنمر بلغت حوالي 9.14٪ بالنسبة للضحايا، في حين بلغت حوالي 2.34٪ بالنسبة للمتنمرين، بحيث خلصت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التنمر الإلكتروني ومستوى الذكاء الوجداني لدى الطالبات، مما يشير إلى تأثير العوامل النفسية والاجتماعية على سلوك الطلاب في البيئة الجامعية.

- الدراسة الرابعة ل "عبيد العنزي":

ركزت هذه الدراسة التي أجريت عام 2020 على فهم دور الإرشاد المدرسي في تقليل حالات التنمر بين طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظر المعلمين. شملت الدراسة عينة من 65 معلمًا ومعلمة، ونشرت في مجلة جامعة الزيتونة الدولية، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية. ولقد أظهرت الدراسة أهمية التكامل بين دور الأسرة ودور المدرسة في مكافحة سلوك التنمر بين الطلاب الذين يواجهون هذه المشكلة، وأشارت إلى ضرورة توجيه الجهود نحو إرشاد وتوعية الطلاب والمجتمع بشكل عام حول أخطار التنمر وكيفية التصدي له. من خلال تنفيذ برامج إرشادية موجهة وفعالة، يمكن للمدرسين والمعلمات أن يساهموا في تقليل حالات التنمر وتوفير بيئة تعليمية آمنة وداعمة لجميع الطلاب.

- الدراسة الخامسة ل "سحر إبراهيم الشحات":

أجرت الباحثة "سحر ابراهيم الشحات" في عام 2022 دراسة تهدف إلى فهم التأثيرات النفسية والاجتماعية والأكاديمية التي يتعرض لها الطلاب ذوو الإعاقة المدمجين في المدارس العادية نتيجة للتنمر المدرسي. بالإضافة إلى ذلك، استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تسهم في انتشار ظاهرة التنمر، خاصة داخل البيئة المدرسية. ولقد أظهرت نتائج الدراسة أن التنمر اللفظي هو الأكثر انتشارًا بين الطلبة، مثل استخدام الألقاب السلبية والألفاظ العدائية، نظرًا لسهولة انتقالها بين الطلبة وعدم الحاجة إلى قوة جسدية مثل التنمر الجسدي. وأشارت الدراسة أيضًا إلى أن المتنمر لا يمتلك القدرة على السيطرة على نفسه عند توجيه العنف الجسدي للضحية، مما يبرز دور السيطرة والقوة كعوامل مشجعة على التعاطي مع ظاهرة التنمر.

- الدراسة السادسة ل "صولة طارق":

أجرى "صولة طارق" في عام 2009 دراسة تهدف إلى استكشاف الواقع لسلوك التنمر لدى ذوي الإعاقة السمعية، وتحليل تأثيراته على هؤلاء الأفراد.[5] (صولة ،2009) أسفرت الدراسة عن نتائج متعددة تسلط الضوء على جوانب مختلفة لهذه الظاهرة الهامة. وقد كانت إحدى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة تتمثل في كون التنمر قد يؤدي في بعض الحالات إلى انتحار الضحية، وهذا ما دفع بالتشريعات لوضع قوانين لمكافحة هذه الظاهرة وحماية الضحايا من آثارها السلبية. كما استنتجت الدراسة أيضًا أن التنمر يمكن أن يظهر بأشكال متعددة، منها الشغب والعنف الشديد، مما يشير إلى تنوع السلوكيات التي قد يتبناها المتنمرون وتأثيرها على ضحاياهم. وتبرز هذه النتائج أهمية دراسة وفهم ظاهرة التنمر بين ذوي الإعاقة السمعية، وضرورة اتخاذ إجراءات فعّالة لمكافحتها وتوفير بيئة آمنة وداعمة لجميع الأفراد في المجتمع، بما في ذلك ذوي الإعاقة.

8- الخلاصات والاستنتاجات:

تعتبر النظريات التربوية هي مجموعة من الأفكار والمفاهيم التي تهدف إلى فهم وتحليل وتحسين العملية التعليمية وتأثيرها على المتعلمين والمجتمعات. وتشكل أساسا لإرشاد وتوجيه المعلمين والمدرسين في تطوير استراتيجيات تعليمية فعالة وفي تصميم مناهج تربوية تلبي احتياجات وتطلعات المتمدرسين والمجتمع. ويعتبر تطوير الاستراتيجيات الفعالة لتحقيق أهداف التعليم أحد الجوانب الرئيسية التي تركز عليها تلك النظريات. فهي تبحث في كيفية تنظيم المعرفة وتقديمها بطرق تشجع على التفكير النقدي والابتكار وتعزز من مهارات التفكير والتعلم الذاتي لدى المتعلمين. وتنظر أيضًا في كيفية تعزيز مشاركتهم الفعّالة والتفاعلية في عملية التعلم، وتعزيز مهارات التعلم الاجتماعي والتعاوني بينهم.

وحيث أن تلك النظريات التربوية تعمل على تحليل وتصميم المناهج التعليمية، فإنها تسعى لتحقيق التوازن بين تقديم المعرفة وتنمية المهارات والقيم لدى المتمدرسين. وتأخذ في الاعتبار تنوعهم واحتياجاتهم الفردية، كما تهدف إلى توفير بيئة تعليمية تشجع

على النمو الشامل لهؤلاء الطلاب في مختلف المجالات الأكاديمية والشخصية. وعلاوة على الجوانب التعليمية، فإن تلك النظريات تولي اهتمامًا كبيرًا للجوانب الاجتماعية للتعلم والتعليم. فهي تدرس كيفية تنظيم العلاقات والتفاعلات داخل المدرسة والمجتمع التعليمي، وكيفية بناء بيئة تعليمية تشجع على التفاعل الإيجابي بين الطلاب والمعلمين وبين الطلاب أنفسهم. كما تسعى لفهم دور التعليم في تشكيل القيم والسلوكيات الاجتماعية لدى الفرد ودوره في تعزيز التواصل الاجتماعي البناء وتعزيز العلاقات الاجتماعية الصحية داخل المجتمع.

باختصار، تعتبر النظريات التربوية وعاءا معرفيا يقدم التوجيهات العملية لتحسين الفعل التعليمي وتعزيز تطوير الفرد والمجتمع بشكل شامل ومستدام.

ومن هذه النظريات التي أعطت أسبابا للتنمر في البيئة المدرسية، نتطرق إلى ما جاءت به النظرية السلوكية، التي صاغها "جون برودوس واطسون"، والتي أثرت بشكل كبير على فهمنا لظاهرة التنمر في البيئة المدرسية. وتركز هذه النظرية على فكرة أساسية قوامها أن الإنسان لا يولد مبرمجًا بالخير أو الشر، بل يتشكل سلوكه نتيجة لتفاعله مع البيئة المحيطة به. وبالتالي، يعزو السلوكيون السلوكات السلبية مثل التنمر إلى عوامل خارجية تشكل الفرد وتؤثر على سلوكه.

ويبرز مفهوم "التفاعل بين الإنسان والبيئة" كأحد أهم مفاهيم النظرية السلوكية، حيث تؤكد النظرية على دور البيئة في تشكيل سلوك الفرد. حيث يعتقد السلوكيون أن البيئة تؤثر تأثيراً كبيراً على سلوك الفرد وتشكله بشكل تدريجي. فمن منظور النظرية السلوكية، الفرد يولد دون أي توجهات أو سلوكيات محددة، وهو مثل المرآة الصافية التي تعكس النمط السلوكي للبيئة المحيطة به. بمعنى آخر، يتعلم الفرد سلوكياته ونمط حياته من البيئة التي يعيش فيها.

وتنظر النظرية السلوكية أيضًا إلى شخصية الفرد، حيث ترى أنها تتكون نتيجة تأثير المجتمع والبيئة المحيطة على عاداته وأساليبه وسلوكياته. بمعنى آخر، تعتبر الشخصية نتاجًا لتفاعل الفرد مع بيئته وتجاربه فيها. ويمكن القول بأن النظرية السلوكية تسعى إلى تعزيز أهمية فهم الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الفرد، مثل التوتر والغضب، والتي يمكن أن تؤدي إلى سلوكيات سلبية مثل التنمر. وتقترح النظرية أن هذه السلوكيات السلبية قد تكون نتيجة لتعلم الفرد سلوكيات خاطئة للتعامل مع التوتر والضغط النفسي.

بهذه الطريقة، توضح النظرية السلوكية كيف أن عوامل خارجية مثل البيئة المدرسية والتفاعلات الاجتماعية يمكن أن تؤثر على سلوك الفرد وتؤدي إلى ظواهر مثل التنمر في البيئة المدرسية.

وتعد الأسرة في نظر المدرسة السلوكية، البنية الأساسية التي تؤثر بشكل كبير على تشكيل سلوكيات الفرد. عندما يتعرض الفرد لنمط معين من السلوك في بيئته الأسرية، مثل العنف المبالغ فيه أو التدليل الزائد، حيث يمكن أن يكون لذلك تأثيراً مستقبلياً على سلوكياته، بما في ذلك العنف والعدوانية التي قد تظهر لاحقاً. وفي حالة تعرض الفرد للعنف المبالغ فيه في الأسرة، فقد يتأثر بنمط التعامل العدواني والتسلط الذي يشهده، وينعكس هذا التأثير على سلوكه في المجتمع بشكل عام، بما في ذلك سلوكه كمتنمر. بالمثل، عندما يتعرض الفرد للتدليل الزائد، قد يتطوع لسلوكيات عدوانية للتعبير عن تفاعله مع البيئة.

تُعزى القدوة أيضًا إلى دور مهم في تشكيل سلوك الفرد. إذا كان الوالدين يتسمان بالتسلط والعنف، فقد ينتقل هذا النمط السلوكي إلى الأبناء، الذين قد يقتبسون تلك السلوكيات ويتبنونها كجزء من شخصيتهم. وبالنسبة للبيئة المدرسية، فإن وجود مساندة للمتنمر من قبل الأقران وعدم وجود رد فعل قوي من قبل الإدارة المدرسية، يمكن أن يزيد من استمرارية سلوك التنمر وتطوره من سلوك سيء إلى أسوأ. فإذا كانت الإدارة المدرسية غير فعالة في فرض القواعد والحدود ومعاقبة المتنمرين، فقد تزداد ثقة المتنمرين

بأنفسهم ويتماسكون في سلوكهم السلبي دون مواجهة لأي عواقب. هذا يؤدي إلى تفشي السلوك العدواني بين الطلاب وزيادة التنمر في البيئة المدرسية.

واستحضارا لنظرية الذات، فيُعتبر تفسير الذات وفهمها أحد الجوانب المهمة التي جاءت بها نظرية الذات في علم النفس، والتي تؤكد على أن الذات هي الحجر الأساس الذي تقوم عليه تنظيمات السلوك للفرد وفي هذا الإطار ترى أنوار محجان (المحجان 2021ص 4) بأن "كارول روجرز"" قدمت تعريفاً شاملاً للذات، حيث وصفتها بأنها "نظام من التصورات والاتجاهات التي يحتفظ بها الفرد تجاه ذاته وتجاربه الحياتية اليومية."[6] وتشمل هذه التصورات والاتجاهات جوانب متعددة تشكل العالم الداخلي للفرد، وترتبط بتفاعله مع الأشخاص الآخرين في بيئته. فالذات تمثل الإدراك الذاتي للفرد لذاته، بما في ذلك مشاعره وأفكاره وطموحاته وأهدافه وتصوراته عن نفسه وعلاقته بالآخرين.

من خلال هذا المفهوم الشامل، يصبح واضحًا أن الذات تعد النواة الأساسية التي يتشكل عليها سلوك الفرد وتفاعلاته مع العالم الخارجي. وبالتالي، تؤكد نظرية الذات على أهمية فهم العوامل الداخلية للفرد في تشكيل سلوكه وتفاعلاته مع البيئة، مما يعزز الفهم الشامل للأسباب والعوامل التي تؤثر على السلوك البشري.

وتركز نظرية "كارول روجرز" على عدة نقاط رئيسية يمكن بسطها على النحو التالي:

- تأثير الذات على السلوك: ترى النظرية بأن معظم سلوكيات الأفراد مرتبطة بمفهومهم للذات، أي كيف يرون أنفسهم ويفهمون أنفسهم. على سبيل المثال، يمكن لشخص يعتبر نفسه غير مقبول في مظهره أن يتجنب المواقف الاجتماعية التي يعتقد أنها تبرز هذا الجانب من شخصيته.
- القيم والاتجاهات والخبرات: ترتبط قيم واتجاهات الفرد بتجاربهم الشخصية، وتعكس هذه القيم والاتجاهات جوانب من هويتهم. على سبيل المثال، إذا نشأ الفرد في بيئة دينية محافظة، فقد تكون قيمه واتجاهاته مرتبطة بالقيم الدينية التي عاشها.
- التناقضات الداخلية: تشير النظرية إلى أنه يمكن أن يحدث تناقض بين السلوك الذي يختاره الفرد وبين ما يعتقده عن نفسه. على سبيل المثال، إذا كان الفرد يتبنى قيمًا معينة ويتصرف بشكل مخالف لها، فقد يواجه صراعًا داخليًا نتيجة لعدم توافق سلوكه مع معتقداته الذاتية.

وارتباطا بتفسير نظرية الذات لمسببات سلوك التنمر، يمكن القول إذن أن الفرد يعاني من سوء التكيف عندما يجد صعوبة في استيعاب الخبرات التي تتعلق بالحواس، العقل، أو السلوك. هذا يعني أنه قد يصطدم بصراع داخلي نتيجة عدم تمكنه من توافق تلك الخبرات مع مفهومه الذاتي، مما يؤدي إلى اضطراب في التواصل مع البيئة المحيطة وقدرته على التكيف معها.

ولقد أوضحت "محجان" في دراستها السابقة بأن هناك عدة أسباب تدفع المتنمرين لممارسة التنمر في البيئة المدرسية، وتتركز أغلبها على العوامل الداخلية التي تتعلق بالمتنمر نفسه، منها:

- الغيرة: يمكن أن يشعر المتنمر بالغيرة من زملائه، مما يزيد من رغبته في التصرف بعدوانية تجاههم.
- الإحباط: عندما يشعر المتنمر بالإحباط، قد يلجأ إلى التنمر كوسيلة لتفريغ الطاقة السلبية والغضب المكبوت داخله.
- التقدير الذاتي المفرط: قد يؤدي التقدير المفرط للذات إلى الغرور والتكبر، وفي المقابل يمكن أن يفتقد المتنمر للقدرة على ضبط تصرفاته.

- تدني المستوى الأكاديمي: قد يشعر المتنمرون الذين يعانون من ضعف أكاديمي بالنقص والغيرة من زملائهم، فيرى التنمر كوسيلة للتخلص من هذا الشعور.
- التعاطي السلبي: يمكن أن يكون التعاطي للمخدرات أو الكحول أحد العوامل المساهمة في سلوك التنمر.
- ضعف الإيمان والقيم: يمكن أن يؤدي ضعف الإيمان والقيم الدينية لدى بعض المراهقين إلى تجاهل القيم الإنسانية والقيم الاجتماعية، مما قد يزيد من احتمالية ممارسة التنمر.

تلك العوامل الداخلية تلعب دوراً كبيراً في تشكيل سلوك المتنمر وفي فهم أسبابه لممارسة التنمر في البيئة المدرسية.

ويمكننا تفصيل أسباب التنمر إلى ثلاث مجموعات رئيسية، كما أشار عبد الفتاح أبو الليل محمد (أبو الليل 2021، ص 529) إلى العوامل التالية:[7]

- الأسرة: يعود المتنمرون غالبًا إلى أسر تعاني من مشاكل يومية، مما يجعل السلوكيات السلبية أمرًا روتينيًا. ونجدهم يتأثرون بسلوكيات العنف، خصوصا إذا كان ذلك من خلال القسوة في التعامل مع الأبناء أو الاعتداء الجسدي عليهم من طرف الكبار والوالدين على وجه التخصيص. حيث ينجم في بعض الحالات أن المتنمر ينظر إلى والديه كنموذج يحتذي به، مما يؤدي إلى تقليده لسلوكياتهم.
- المدرسة: تلعب البيئة المدرسية دورًا مهمًا في تكوين سلوكيات المتمدرسين، وفي حالة إهمال الإدارة المدرسية للاهتمام بالجانب السلوكي. فإن ذلك الإهمال قد يفرز زيادة حالات التنمر وقلة احترام الطلبة/التلاميذ لبعضهم البعض.
- الأقران: لهم من الوقع ما يؤثر بشكل كبير وواضح على سلوكيات الطلبة/التلاميذ، ويعتبر سببًا رئيسيًا في انتشار ظاهرة التنمر. يضطر بعض التلاميذ/الطلبة لممارسة التنمر للتأقلم مع مجموعات معينة، حتى لو كانوا غير مقتنعين بهذه السلوكيات.

كما أضاف "أبو الليل" أيضًا، أن الألعاب الإلكترونية، وخاصة ألعاب العنف، بالإضافة إلى بعض أفلام الكرتون، تسهم في زيادة مستوى العنف والتنمر بين الطلبة/ التلاميذ.

ومن جهة أخرى، يُمكن تصنيف أشكال التنمر في البيئة المدرسية كما ذكرته سحر إبراهيم الشحات (سحر2022، ص 186) في بحثها حول التنمر، على النحو التالي[8]:

- التنمر البدني: يُعتبر من أشكال التنمر الأكثر انتشارًا في المدارس، حيث يشمل الاعتداء المباشر بالجسد، مثل الضرب أو البصق على المتنمر عليهم، أو تدمير ممتلكاتهم، أو استخدام العنف بشكل عام.
- التنمر اللفظي: يتمثل في استخدام الكلمات النابية للتهديد أو الشتم أو الاستهزاء بالآخرين، مما يؤدي إلى تقليل قدرهم وزيادة الضغط النفسي عليهم.
- التنمر الاجتماعي: يتمثل في استبعاد الطلاب المستهدفين من المجموعات الاجتماعية أو الأنشطة المشتركة، مما يؤدي إلى شعورهم بالعزلة والانعزال داخل البيئة المدرسية.
- التنمر الجنسي: يتمثل في استخدام الفظاظة الجنسية أو نشر معلومات مغلوطة عن المتمدرسين، مما قد يتطور في بعض الأحيان إلى اغتصاب أو اعتداء جنسي، مما يسبب آثارا نفسية وجسدية خطيرة.
- التنمر الديني: يتمثل في ترديد عبارات مسيئة للطلاب المنتمين إلى ديانات مختلفة، وقد يصل الأمر في بعض الحالات إلى الإيذاء الجسدي بسبب اختلاف الديانات أو المعتقدات.

- التنمر ضد الأفراد ذوي الإعاقة: يشمل التلاعب بأجهزة وأدوات الطلاب ذوي الإعاقة، مثل كرسي المعاق، وكذلك استبعاد هؤلاء الطلاب من الأنشطة المدرسية المتنوعة، مما يزيد من شعورهم بالعزلة والاستبعاد.
- التنمر الإلكتروني: يتمثل في استخدام التقنيات الحديثة، مثل الهواتف المحمولة والإنترنت، للتنمر على الآخرين، سواء عبر المكالمات الهاتفية أو رسائل البريد الإلكتروني أو تطبيقات المراسلة الفورية، مما يؤدي إلى زيادة مدى تأثير السلوك السلبي والتنمر على الضحايا.

هذه التصنيفات تساهم في فهم أعمق لأشكال التنمر في البيئة المدرسية وتوجيه الجهود نحو الوقاية منها ومكافحتها بشكل فعال.

وترى "سحر" أيضا أن تأثيرات سلوك التنمر لا تقتصر على الضحية فقط، بل تمتد بنسب متفاوتة أيضًا للمتنمر نفسه والطلبة / التلاميذ الآخرين الذين يكونون حاضرين أثناء وقوع التنمر. ومن بين هذه التأثيرات

- الآثار النفسية: تشمل الإحباط والتوتر والشعور بالوحدة، وقد تصل في الحالات الشديدة إلى الانتحار، وتستمر هذه الآثار لفترات طويلة، خاصة على الضحية.
- تأثير التنمر على المتنمر: يمكن أن يؤدي التورط في سلوك التنمر بشكل كبير ولفترة طويلة إلى مشاكل نفسية للمتنمرين، وقد يكون لهذه المشاكل تأثير سلبي على سلوكهم في المستقبل، حيث يمكن أن يكون مؤشراً على ارتكابهم جرائم خطيرة.
- تأثير معاينة عملية التنمر: إذ بالنسبة للأشخاص الذين يكونون حاضرين خلال وقوع التنمر، قد يؤثر ما شاهدوه عليهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة، مما قد يؤدي إلى تطور بعض المشاكل الصحية والسلوكية لديهم.

وارتباطا بالتنمر الالكتروني باعتباره وجها من أوجه الظاهرة، فتتبدى مجموعة من الآثار السلبية التي تهم كل الأطراف ومنها أن الضحية تنشأ لديها نظرة شك تجاه أغلب الناس، مما يجعله يضع حدودًا وحواجزًا بينه وبين أصدقائه، أسرته، أو المجتمع بشكل عام؛ حيث يفقد الثقة بمن حوله نتيجة تعرضه للتنمر. كما أن الضحية من الناحية الأكاديمية تعاني من ضعف في التحصيل الدراسي وتقليل دافعيتها نحو التعلم، مما يقلل من رغبتها في الذهاب إلى المدرسة ويؤثر سلبًا على أدائها الدراسي، إضافة إلى ما قد تعانيه من اضطرابات نفسية متنوعة، يمكن أن تكون حادة أو بسيطة حسب درجة تأثره بالموقف وحسب درجة مناعته النفسية وقوتها، مما يؤثر على جودة حياته النفسية بشكل عام. كما يمكن أن يتطور الوضع لدى الضحية وتتشكل لديها اضطرابات في النوم والتغذية نتيجة للضغط النفسي الذي تعانيه، مما يؤثر سلبًا على صحتها العامة.

9- توصيات الدراسة:

من الضروري أن تتضمن المناهج التعليمية دراسة سلوك أو ظاهرة التنمر بشكل شامل، وذلك بمراعاة المرحلة النمائية التي يتواجد فيها المتمدرس. ويجب أن تشمل المضامين فهمًا عميقًا لطبيعة التنمر وتأثيراته على الضحايا والمتنمرين في كل مرحلة من مراحل تطورهم النفسي.

علاوة على ذلك، ينبغي إعداد برامج توعوية مكثفة تتناول ظاهرة السلوك العدواني بشكل عام، مع تحديد أنواعه ومسبباته وآثاره المحتملة على المتنمر والضحية في المستقبل. وهنا يجب أن تكون هذه البرامج جزءًا لا يتجزأ من منهج الدراسة، وتركز على توضيح أضرار التنمر وأهمية التعامل معه بشكل فعال.

كما ينبغي التنبيه إلى وجوب إدراج برامج إرشادية دينية تهدف إلى تنمية الوازع الديني في صفوف المتمدرسين، مما يؤدي إلى حدوث وقع إيجابي على سلوكياتهم ويقلل من السلوكيات السلبية. إذ يمكن لهذه البرامج أن تشمل دراسة القيم والأخلاق الدينية التي تعزز التعاون والتسامح وتقبل الآخرين.

وفيما يتعلق بالمقاربة التشاركية التي يجب أن تحكم المدرسة وأولياء الأمور، فإنها ينبغي أن تكون محتكمة إلى التنسيق والتعاون الأساسي لفهم أسباب سلوك طرفي التنمر سواء المتنمرون أو الضحايا المتنمر عليهم. ويجب على المدرسة وولي الأمر في هذا الإطار العمل معًا لتحديد العوامل التي تقف وراء التنمر والبحث عن حلول مناسبة تتوافق مع ظروف واحتياجات الطرفين معا.

الهوامش:

[1] أنوار محجان أنوار ناصر. (2021) أسباب التنمر المدرسي من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين في مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت. المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية1-20، ص:519.

[2] أحمد حيمود (2009). المكانة الاجتماعية لتلميذ مرحلة التعليم الثانوي وعلاقتها بمفهوم الذات والاتجاهات نحو النشاط البدني الرياضي (رسالة دكتوراه). جامعة منتوري/ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. ص:87

[3] سايحي سليمة (2018). التنمر المدرسي: مفهومه، أسبابه، طرق علاجه. مجلة التغير الاجتماعي، الجزائر، عدد 6، 73-99.

[4] عبد الوهاب صفار، (2015). التنمر الوظيفي -مقارنة نظرية. مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 34، ص:53

[5] صولة طارق (2009). تقدير الذات وعلاقته بظهور قلق السمة لدى العبي النخبة من ذوي الاحتياجات الخاصة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بسكرة، الجزائر. ص:93.

[6] أنوار محجان أنوار ناصر، مرجع سابق

[7] عبد الفتاح أبو الليل محمد (2021). أثر المساندة على التنمر المدرسي لدى عينة من طالب المرحلة الابتدائية بمحافظة الطائف، المملكة العربية السعودية. مجلة كلية التربية أسيوط، ص: 512-551.

[8] سحر إبراهيم الشحات، (2022). التنمر خطر يهدد دمج ذوي الإعاقة بمدارس التعليم العام. المجلة العربية لعلوم الإعاقة والموهبة، ص.181-200.